المحاضرة الثانية: القضايا اللغوية والنقدية في الفلسفة اليونانية:

عناصر المحاضرة: تمهيد/ المحاكاة قضية جامعة في الفكر اليوناني/ النحو الجامع.

تمهيد:

ظل الفلاسفة زمنا طويلا يربطون بين اللغة والمنطق، ويحاولون صب القواعد المنطقية في عبارات لغوية، فتشكلت بهذا علاقة وثيقة بين الفلسفة وخاصة اليونانية وكثير من المباحث اللغوية والنحوية. فهناك ناحية من المنطق تنطبق تمام الانطباق على ناحية من اللغة، كما أن هناك من المنطق ما لا يمت للغة في صورتها المألوفة الشائعة على الألسنة بصلة ما. وظلت فلسفة اللغة ميدانا وسيطا بين اللغوي والفلسفي كما ظل اللغوي يقتحم ببحوثه بعض نواحي المنطق.

ولو أن أرسطو قد اتخذ لعلمه رموزا أخرى لا شأن لها بما يدور على الألسنة من ألفاظ وعبارات، ما احتاج المنطقي إلى البحث في اللغة، ولا احتاج اللغوي إلى النظر في المنطق، ولما كان ذلك الصراع بين المناطقة واللغويين في بعض العصور المتأخرة، فقد استطاع أرسطو أن يقرب بين منطقه واللغة اليونانية، إن لم يكن قد جعلهما منطبقين تمام الانطباق، متآلفين تمام التآلف؛ وأعجب المفكرون في الأمم الأخرى بمنطق أرسطو، وحاولوا صب لغاتهم في تلك القوالب موفقين في هذا تارة، وبعيدين عن التوفيق تارة

أخرى، يجدون من لغتهم ما يواتيهم ويطاوعهم حيناً، ويتعثرون ويتكلفون حينا آخر.

المحاكاة قضية جامعة في الفكر اليوناني:

يقومُ مفهوم المحاكاة في الأدب عند الفلاسفة اليونان على مبدأ أنّ ما في الواقع هو تقليد أو محاكاة لما هو موجود في عالم المُثُل، فالشاعر يقلّد الأشياء الموجودة حوله دون أن يعيَ طبيعتَها، وبذلك يكون شِعره هو تقليد التقليد، فهو بعيد عن الحقيقة بدرجتين، وقد طُرِحت مجموعة من الترجمات لمفهوم المحاكاة في الأدب، ولكنّ الترجمة الدقيقة لمفردة المحاكاة الإغريقية "mimesis" هي ليست التقليد "imitation"، ولا التمثيل العقلي "representiul"، إنّما الترجمة الصحيحة هي المماثلة "simulation"، وأبرز فلاسفة اليونان الذين تكلموا عن المحاكة هم أفلاطون وأرسطو.

المحاكاة عند أفلاطون تقوم نظريّة المُحاكَاة في الأدب عند أفلاطون على أنّ المحاكاة هي جوهر الفن، إلّا أن المحاكاة عنده بعيدة عن الأصل بثلاث درجات، وكلما ابتعدنا درجة ازددنا بعدًا عن الحقيقة، ولذلك أصبح الشعراء عند أفلاطون وبناءً على رأيه كِذبة، ومن غير المسموح أن يكونوا في جمهوريّته الفاضلة، وبالإضافة إلى ذلك ينبغي طردهم من تلك الجمهورية؛ حتى لا يُفسِدوا على الناس سعادتهم الحقيقيّة. المثال على ذلك أنّ الشاعر أو الرّسام إذا أراد أن يصوّر سريرًا،

فإنّه سيُحاكي السريرَ الذي صنعه النّجار، والنجار نفسه الذي صنعَ ذلك السرير ليس مبدعًا، إنّما هو مُحاكٍ للسرير الحقيقيّ، وهذا السرير الحقيقي موجود في عالم الْمُثُل، عالم لا نراه، وبالتالي فإنّ السرير غير موجود حقيقةً إلا في عالم المثل، وبذلك يكون عالم المُثل هو الدرجة الأولى للحقيقة، وعالم النجار هو محاكاة لعالم المثُل، أيْ: صار في الدرجة الثانية، وهنا تبتعد الحقيقة عن الأصل شيئًا فشيئًا، ويكون عمل الشاعر أو الرّسام محاكاة للمحاكاة، فيبتعد بذلك عن الأصل بثلاث درجات.[٥] مع أن أفلاطون وضع أسس نظرية المحاكاة في الأدب من خلال فلسفته، إلا أنه لا يرى أن ما يقوم به الشعراء في محاكاتهم للواقع إبداعًا خالصًا، بل جعل الصانع أو النجار يسبق الشاعر بمرتبة في محاكاته للواقع، وقد كانت آراء أفلاطون تتمركز حول سؤالين هما: ما جوهر الفن الشعري؟ وما وظيفته في الحياة الإنسانية؟

المحاكاة عند أرسطو جاء أرسطو وورثَ مصطلح المحاكاة في الأدب عن أستاذِه أفلاطون، ولكنّه أعطاه معنًى مختلفًا، وكان هذا الاختلاف نتيجةً لاختلاف النظرة الفلسفيّة، إذ كان أفلاطون ذا نزعة صوفية غائية، بينما كان أرسطو ذا نزعةٍ علمية تجريبية، ومع أنّ أرسطو كان يرى أن الفنّ محاكاة، إلا أنّه لم يربط نظرية المحاكاة بنظرية المُثل الأفلاطونيّة، ولم يقيّد الفن أو الأدب بقيود الفلسفة. أرسطو ينظر إلى الشعر على أنّه محاكاة للطبيعة، ولكنّ

الطبيعة ليست محاكاة لعالم عقلي، والشاعر عندما يُحاكي الطبيعة فهو يحاكي ما يمكن أن يكون لا ما هو كائن، وبناء على مفهوم المحاكاة في الأدب عند أرسطو تُرجَع الفنون كافّة ومنها الشعر إلى أصلٍ فلسفيّ واحد هو محاكاة الحياة الطبيعيّة، أرسطو يعيد الشعر إلى غريزتين إنسانيتين هما: غريزة التقليد، وغريزة التناغم والإيقاع والأوزان.

النحو الجامع

تعد قضية العلاقة بين المنطق والنحو من أدق موضوعات فلسفة اللغة وأصعبها تناولا ، ويهتم بها المناطقة، والفلاسفة، والنحاة منذ أقدم العصور ، بل من قبل أن يصيغ أرسطو المنطق، ويضع قواعده ، فلقد نشأ المنطق مرتبطا بالجدل، الفكري والنحوي الذي ساد القرن الخامس وشطرًا من القرن الرابع قبل الميلاد عند كل من المدرسة الأيلية وجماعة السوفسطائيين ، إذ اهتموا بالجدل، وبقوة الكلمة، عن قوة الفكر، وبفن الإقناع الذي هو بعينه فن التفكير ، وكان بحثهم في اللغة بحثا منطقيا .والعلاقة بين المنطق والنحو علاقة قديمة وحميمة ، إذ يلتقيان في مصطلحيهما، وفي غايتهما. فالنحو آلة يعرف بها صواب تراكيب ألفاظ اللغة ومعانيها من خطئها ، والمنطق آلة يعرف به صحة المعني وتصديقه من خطئه . وكل منهما يعتمد طرق الاستقراء والاستنباط . غير أنهما لا يتطابقان تماما ، فالمنطق يستند إلى الأدلة العقلية ،مفترضا وحدتها وشمولها ، والنحو يستند إلي

معطيات اللغة الوصفية معترفا بأن قواعدها قابلة للاستثناء والتخصيص .ومن جهة أخرى فإن العلاقة بين النحو والمنطق تعد من الموضوعات العريقة التي تناولها العلماءُ منذ زمن بعيد، إذ لا نجد من العلماءِ القدامي أحدًا ضرب سَهمًا في مجال اللغة، أوالبلاغة، أو النقد، إلا والعلاقة بين النحو والمنطق، كانت إحدى أغراضه ومراميه. ولذلك فإنه إذا ما درسنا هذه العلاقة من منظار تاريخي نصل إلي أن لفلاسفة اليونان نظراتٍ تتعلق بهذه العلاقة .ومن يتتبع تاريخ الدراسات اللغوية في الفكر اليوناني سيدرك أن هذا الفكر قد افترض اللغة اليونانية مقياساً للغات العالم ، وبنى علي ذلك اعتقادا تُخطئه الدراسات اللغوية الحديثة ، وهو أن دراسة اللغة اليونانية في تراكيبها وطرقها صادقة علي كل لغات العالم ، إذ أن هذه اللغات تجري علي مقياس اليونانية . وهذه الدراسات اللغوية القديمة تختلط إلى حد كبير جدًا بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية ، ولقد وصف كُتاب اللغة من الإغريق الجملة حكما منطقيا ، وعدوا بها طرق الإسناد النحوي بالطريقة نفسها ،ولقد عدوا الموضوع والمحمول في المنطق.ويصادفنا في مجال التفكير اللغوي-المنطقي أعمال السوفسطائيين الخاصة بالنحو والتي حملت في ثناياها بذورا منطقية أكيدة ، فقد أرجعوا التصور (المعني) إلى اللفظ مما يسر لهم أن يجعلوا من الجدل وسيلة للانتصار على الخصم ؛ ومعنى هذا أن

السوفسطائيين قد بحثوا في النحو فأدى بهم إلي المنطق ؛ و" لقد قام بروتاجوراس Protagora ببعض الدراسات الأولية في النحو كأساس للمنطق" ؛ حيث يعد أول من تحدث عن أجناس الأسماء gene onomaton ؛ أي المذكرة arena والمونثة thelea وما نسميها المحايدة وسماها هو skeue الأشياء غير الحية) . واستخدم أرسطو نفس هذه المصطلحات، وإن كان يستخدم أحيانا metaxy ما بين) بدلًا من skeu " . أرسطو واللغة